

النص الشعري العربي المعاصر بين تعدّد الدلالة ولا نهائيتها ، قراءة في قصيدة الإنسان الكبير لصالح
باوية أنموذجا

Contemporary Arabic poetry between multiple and infinite meanings: A
reading of Saleh Bawiya's poem "The Great Man" as a model

د.أمال أحباب¹

¹ جامعة تيبازة، amalahbab8@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/11/25 تاريخ القبول: 2025/12/31 تاريخ النشر: 2026/07/25

ملخص:

خلّفت الاستعمارات المتوالية على الدول العربيّة أثارا لا يمكن تجاهلها من ناحية التشكيك في القيم الوطنيّة واللّغويّة وحتىّ النّضاليّة فسعى شعراءنا لمواكبة تيّار الحداثة الغربي من ناحية تبنيّه للاتّجاه الرّومانسي الذي يمجّد الذات الانسانيّة ويسعى لتحريرها من آثار الاستعمار والاستدمار على كلّ الأصعدة .
وما الشعر السياسي التحرري سوى نموذج من النّماذج التي تدعو الى التمسك بالقيم الثوريّة التي يؤكّد من خلالها الشعراء على أنّ ما أخذ بالقوّة لا يسترجع إلّا بالقوّة وتعتبر قصيدة الإنسان الكبير لصالح باوية واحدة من هذه النّماذج التي دعى فيها الى تمجيد الحرية ورفع شعار العمل النّضالي ،فماهو مضمونها وما القيم المستقاة منها ؟ وكيف عبّر صالح باوية عن موقفه من المستعمر ؟
الكلمات المفتاحيّة : الاستعمار ، الشعر السياسي التحرري ، صالح باوية

تصنيفات JEL : ، ، ...

Abstract

The successive colonial occupations of Arab countries left undeniable scars, casting doubt on national, linguistic, and even revolutionary values. Our poets sought to keep pace with Western modernism, particularly its adoption of the Romantic movement, which glorifies humanity and strives to liberate it from the effects of colonialism and oppression on all levels.

Political liberation poetry is but one example of the forms that call for adherence to revolutionary values. Through it, poets emphasize that what is taken by force can only be regained by force. Saleh Bawiya's poem "The Great Man" is one such example, in which he glorifies freedom and raises the banner of revolutionary struggle. What is its content, what values does it derive, and how did Saleh Bawiya express his stance towards the colonizer?

Keywords: Colonialism, Political Liberation Poetry, Saleh Bawiya

Jel Classification Codes: ..., ..., ...

المؤلف المرسل: د.أمال أحباب، الإيميل: amalahbab8@gmail.com

1. مقدمة:

صار مصطلح الحداثة ضرورة من ضرورات الحياة نظرا لاعتقاد العرب أنّ كلّ ما يصدر عن الغرب يستحقّ التّبع رغم عدم معرفة أصول ما يصدر عنهم من مفاهيم ومصطلحات ، كما أشار عبد العزيز حمودة الى ضرورة البحث عن رؤية أخرى تجعلنا نتقل من الاتّباع للغرب الى ابتكار خطاب نقدي يجعلنا لا ننحاز لمرجعية نقدية ما.

" فالعرب بحاجة فعلا الى حداثة تجعلهم يتجاوزون التّخلف ، بحيث تكون الحداثة العربية مبنية على قواعد تختلف تماما عمّا أصدره الغرب هذا الانبهار بما يصدر عن الفكر الغربي من قبل العرب فصارت الحداثة مصطلحا ملازما للمثقف العربي في السنوات الأخيرة حتّى أنّهم من لا يردّد هذا المصطلح بالجهل والتّخلف الثقافي ، فالانسان في هذه الأيام واحد فقط من اثنين بالنسبة للحداثيين العرب ، أمّا حدثي أو رجعي جاهل وهنا نطرح سؤالاً جوهرياً هل سينقل النّاقد العربي معطيات الفكر الحداثي بتناقضاته؟ أم أنّه سيقدّم الجديد ؟، هذا ما سنجيب عنه في الصّفحات القادمة." (حمودة، صفحة الصّفحات الأولى)

وما الكتابة الشعريّة في الآونة الأخيرة إلا انعكاس لتأثر العرب بمعطيات الفكر الغربي عن طريق ترجمة أعمالهم والقراءة لمدوّنتهم الشعريّة والمتنبّع للحركة الشعريّة المواكبة للتّورة سيلمح أنّها كانت سلاحاً فكريّاً مقاوماً مثلها مثل السلاح .

2- ماهية مصطلح التّأويل:

يعتبر الفهم محاولة ادراك المعاني والدلالات التي تنفجر في النص وهو يستلزم إعادة بناء تاريخية لعالم الماضي "حيث يشكل هذا الجزء جزءاً منه لأنّ الفهم هو المكون الجوهرى لعملية القراءة فإنّ تفهم النص هو دائماً أن تمارس التّأويل ومن ثمّ يكون التّأويل الشكر الظاهر للفهم ، أما النص هو نسيج من الأصوات المتعددة تتقاطع ضمنه علاقات دلالية منفتحة مما فتح الباب أمام ملئ فراغاته من خلال تداخل السجل النصي للنص(أحباب، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف ميلة، 2023)"

أما التّأويل لغة صرف الآية عن معناها الظاهر الى ما يحتمله اذا كان المحتمل الذي يراه الكتاب والسنة التّأويل فعل اجتهادي يكون المعنى المتوصل اليه خاضعاً لاحتمال لا لليقين، أمّا اصطلاحاً فالتّأويل: "يعبر عن مباطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر فالتّأويل اخبار عن حقيقة المراد، والتفسير اخبار عن دليالمراد"(السّيوطي، 2000، صفحة 358)، فالتّأويل يبحث عن جوهر الكلام ومعناه الخفي ، لأنّ اللفظ يكشف عن المراد استناداً لقوله تعالى "ان ربك لبالمرصاد"، بمعنى تفسيره أخذ من الفعل رصد أي رصده رقبته والمرصاد مفعول وتأويله التحذير من التهاون في أمر الله والغفلة "(السّيوطي، 2000، صفحة 358)، اذن نستخلص بأنّ التّأويل يتجاوز المفهوم الظاهر لباطنه .

3- البّات التّأويل الشعري عند عبد الملك مرتاض أمّوذا :

يعدّ "عبد الملك مرتاض" من أهمّ النقاد الذين ركزوا على هاته النقطة ضمن مؤلفاته خاصة في كتابه "نظرية النص الأدبي حيث يرى أغلب النقاد أنّ النص الأدبي أعم وأوسع منحصرة في نظرية محدّدة ،فهو بنية مفتوحة لا يتسنى للدارس الإمساك بها

"لقد تطرق "عبد الملك مرتاض" في كتابه هذا الى جملة من المفاهيم والاشكاليات التي تتصل بالنص الأدبي ويسعى الى ربطها بالتراث لأنه يعتبر أحد كبار النقاد العرب المعاصرين ويتميز بقراءاته العميقة والناقدة للتراث العربي فهو يجمع بين الأصالة والمعاصرة" (بوقلالة، 2011)، بمعنى أن عبد الملك مرتاض أولى عناية خاصة بالنص الأدبي والنقد الأدبي على حد سواء حيث أنه جمع الفكر المعاصر دون هجران القديم وهو بذلك يرى أن الناقد لا بد أن يكون ذا ثقافة واسعة واطلاعات معمقة ليلج بواسطتها الى عالم النص .

فللنص الشعري رموز وإيحاءات تستفز الناقد والقارئ مما يستدعي ضرورة تأويله انطلاقاً من معانيه الظاهرة وصولاً لبواطنه حيث "يلجأ المبدع كثيراً الى الغموض في نصوصه الشعرية لجذب القارئ ، لذلك يستلزم على القارئ كشف هاته الإيحاءات وتأويلها من خلال معرفة دلالة ألفاظه وخصائصها ومكوناتها وتراكيبها وعلاقاتها الصوتية فكل نص له دلالات جمالية متضمنة في لغته إيقاعه وصورته وحيزه وتركيبه" (أحباب، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصّوف ميله، 2023).

يقول مرتاض لها معطيات فنية تحدد لنا بنية القصيدة وتشكلها، هذا هو موضوع النقد الأدبي الحديث الذي يدرس النص ويتناوله شكلاً ومضموناً فهو يراعي الخصائص الداخلية والخارجية للقصيدة "حيث يقوم تسليط الضوء على القصيدة المراد دراستها من خلال تحليلها وتفكيكها من أجل استخلاص خصائصها وظواهرها وأبعادها، واستنفاذ ما فيها من طاقات فنية وجمالية" (مرتاض، ألف ياء تحليل مركّب لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد ال خليفة، 2004) فالنص يقاس بتعدد تأويلاته التي تكمن في ثرائه الفني والمعرفي وكلما كان النص راقياً كانت الممارسة النقدية أرقى وأعم وأشمل تختلف باختلاف القدرات الفكرية والثقافية لكل مؤول.

4- التعريف ب الشاعر "صالح باوية ونصّه الشعري" (مربيعي، 2015-2016، صفحة 116):

1-4 التعريف بالشاعر :

هو شاعر من شعراء الجزائر ولد بمنطقة "المغير" ولاية الوادي 1930 ثم حصل على الشهادة في الطب في بلغراد سنة 1969 وشهادة الاختصاص في جراحة العظام بالجزائر سنة 1979 ، عمل في عدّة مستشفيات ، ولم يمنعه اختصاصه العلمي من قلرض الشعر فكان فنّانا رقيق المشاعر .
من أشهر دواوينه "أغنيات نضالية" الذي تغنى فيه بالقضايا الوطنية والقومية ، مثلما نرى في هذا النص الذي يربط فيه بين قضية وطنه "الثورة الجزائرية وقضية الوحدة بين مصر وسوريا في سنة 1958 .
2-4 النص الشعري : الانسان الكبير (مربعي، 2015-2016، الصفحات 116-117)

قال شعبي يوم وخذنا المصير

أنت انسان كبير ...

يا جراحي

أوقفي التاريخ أنا نبع تاريخ جديد

يزرع الكون سلاما وابتسمات وبطولات شهيد

من ضلوعي من دمي عبر الجزائر

من خطي طفل جريئ يحمل المدفع في أرض الجزائر

يا جراحي ...

في دمي كنز السّنابل

ينحني شوقا الى صوت المناجل

ينحني للشمس للفجر الى خلجة ثائر

ينحني شوقا الى قبلة طفلي وزغاريد وشاعر

يا جراحي

أوقفي التاريخ أنا حدث ثر ، وكون لا يحسد

يغرق التاريخ والكون يجرح يستجد

فبلادي ثورة بكر ،، بأرضي بسمائي بكياني تستبد

يا أنا يا ثوري ،،، يا أغاني طفلي ..

أنا انسان كبير

قال شعبي يوم وخذنا المصير

أحبس السحب ... هنا بحر وأمطار سخية

وربيع صاغه طفل لشعبي وصيبة ...

أوقف اللحظة أنا لحظة كبرى غنية

لم تزل تنشر في الكون حكايا وهدايا عربية

أطفئ النيران أنا قلب بركان جريئ للأساطيل العتيقة

للطواغيت ، لأصنام غبية

أسكت الطير

فأنا خلجة الانسان تشدو في عروق عربية

تعب الأحلام للشمس السخية

يا رفيقي أنا انسان صراع

ملئ كفي حزمة مصلوبو من عزمات وشراع

وغصون وبقايا وذكريات وشعاع

قبضتي هذي سماء وتراب وعصارات متاعي

وبقلي ثورة تمتص معنى العاصفات

توقظ الأرض بفأس ولهة وتعيد العطر كل العطر للزهر المدمى ... للحياة

ثورة انسانة الغلات تسقي أمنيائي

والرّي والصّبح من نبع الحياة ...

باركيها يا جموعي يا فتاتي

أنا انسان حياتي

5- قراءة نقدية لقصي في هذه القصيدة

5-1 قراءة تأويلية حول مضمون النص:

إنّ المتلقي لهذه القصيدة سيلمح أنّها تحمل عدّة أفكار ومضامين نستهلّها بأنّ صالح باوية يعبر عن الشعب الجزائري وجعله هو المتكلم في نصّه الانسان الكبير ومن جانب آخر نلمح أنّه يخاطب بقية الدول العربيّة كسوريا ومصر ومنه دعوتهم الى تبني الاتجاه التضالي من أجل التحرّر ، فالانسان الكبير حسب الشاعر متواجد في الجزائر مدافع عن وطنه بكلّ قوّته .

كما يبيّن لنا الشاعر أنّ للثورة الجزائريّة مسار تضالي حافل بالقيم الانسانيّة والروحيّة ، وما توحّد الشعب الجزائري في زمن الثورة إلاّ دليل على الرغبة في التحرّر من قيود المستعمر ممّا جعلنا نصنّف النص الى الشعر السياسي التحرري استنادا لأفكاره .

إنّ المتأمل لهذا النص سيجد أنّ النص كتب ابان الثورة وهو دليل على تجربة شعوريّة خاصّة بالشاعر نابعة عن انفعاله وتألمه لما ال اليه وطنه فكان الشاعر مدافعا عنه رافضا ما يسري حوله بقلمه كنبذة نضال من أجل التحرّر ، وما يميّز هذا النص أنّه لم يحدّد فترة تلقّيه فهو صالح لكلّ فترة وتلقّاه كلّ أمة عربيّة في ظل الاستعمار سواء أمس في زمن الثورة أو اليوم فهو يقارب أن يكون وثيقة تاريخيّة في مسار النضال الجزائري ، حيث نجد أنّ الشاعر يشيد بالبطولات الذي خاضها الشعب الجزائري ابان الثورة .

كما يلحّ الشاعر في نصّه على ما ينم عن المحافظة على الانسانيّة والسلام والحياة والأمل لكنّه لم يجد لها وجود في الجزائر فقد حرم من الحقوق الانسانيّة في بلده، ومن جانب آخر فقد جمع الشاعر بين الحب والحرب لتبيان أنّ الاستعمار الفرنسي لم يترك مجالا للجزائري للتعبير عن أبسط حقوقه .

5-2 جماليّة اللّغة في النص :

مثّلت اللغة المعتمدة في هذا النص لغة جمالية بامتياز كونها غنيّة بالرموز التي تعني بتجاوز ما هو مألوف من مفردات من أجل إثارة المتلقي مثال قوله : الانسان الكبير ، جراحي ، يزرع الكون سلاما ، خطي طفل جريئ ، السنابل ، المناجل ، زغاريد ، هذايا عربيّة ، بركان ، ريفيقي ، غصون ، العطر ، طفل يحمل مدفع ، أمنياتي وكل كلمة لها دلالة فالانسان الكبير ينمّ عن الانسان المناضل المتحدّي ، في حين ترمز الجراح للالام والبكاء ،

أمّا عن دلالاتها فنقول أنّ السلام فهو يقصد به الرغبة في التحرّر ، الطفل الجريئ هو المتمسك بحلمه في التحرر ، أمّا السنابل والمنجل فتشير الى النظام الرأسي كما تدلّ على الحياة والموت ، في حين تدلّ الزغاريد على الفرحة من جهة وعلى كثرة الشهداء ، البركان فهو يهدّد المستعمر من انفجار هذا الشعب ، ريفيقي وكأنّه يستنجد بالدول العربيّة ، في حين تدلّ الغصون على الأصول أمّا المدفع فهو وسيلة من وسائل الحرب ، أمّا لفظة الأمنيات فنختزل دلالتها في الرغبة في التحرّر .

5-3 الحقول الدلالية في النص الى :

حقل الأخوة كقوله : سلام ، ابتسام

حقل الاتحاد : في قوله : العزيمة ، التآخي

حقل الحرب : جراحي ، بطولات شهيد ، دمي ، المناجل ، ثائر ، بركان ، ثورة

حقل التمني : أحلام ، أمنيات ، زغاريد ، قبلّة ، طفلي ، أغاني ، العطر

حقل الطّبيعة : سمائي ، الشّمس ، الفجر ، تراب ، الأرض ، الصّبح

وهي بذلك حقول جاءت مسايمة مضمون النصّ كونه يعبر عن الثورة بمتلازماتها فكانت لغته مزجا بين القوّة تارة والضعف تارة والّين تارة حسب سياق الأفكار المراد التعبير عنها

5-4 الأفعال ودلالاتها في النص :

جمع النصّ بين الأفعال بمختلف أنواعها للدلالة على دعوة الآخر وعدم الثّبات على الحال فهي تحمل دلالات شعوريّة عميقة ومن الأفعال الماضية قوله : قال شعبي ، وحدّنا والتي تنمّ عن المضارع .

ومن الأفعال المضارعة نذكر : يزرع ، يحمل ينحني ، التي تكررت ثلاث مرّات ، يغرق ، لم تزل ، تعبر ، توقظ، تعيد ، كلّها تنمّ عن الحركة والانفعال الشّديد .

أمّا أفعال الأمر فهي كما يلي : أوقفني تكرّر مرّتان ، أحبس ، أوقف ، أطفئ ، أسكت ، باركيها ، كلّها تنمّ عن بحث الشّاعر عمّن ينصت له ويشكّل معه تكتّلا من أجل رفض الاستعمار والقيام نحو الثورة . وهو بذلك ينمّ عن انفعال في وصف الأحداث وسردها في قالب شعري ولكنه رمزيّة إيحائيّة . وهي بذلك لغة جامعة بين التّجديد من خلال توظيف الرّمز وتقليد التّراكيب من جهة ثانية .

الخاتمة

- جمع النص بين تجديد الأغراض الشعريّة وتبني معالم الحداثة من خلال تجاوز نمط الكتابة الشعرية العموديّة

- كما نلمح ثراء النصّ بالعديد من القيم التي تمثّلت في :

قيم وطنيّة : وتجلّت في تعبير الشّاعر عن وطنه والدّفاع عن قضيتّه ، ومنه الدّعوة لبث الرّوح الوطنيّة وروح الانتماء لدى المتلقي قال الشّاعر : قال شعبي ، في دمي كنز السّنابل ، من ضلوعي من دمي عبر الجزائر . قيم تاريخيّة : وتمثّلت في الحديث عن توحيد المصير ، تاريخ الثورة الجزائريّة ، بطولات الشّهداء وتمثّلت في قوله : بطولات شهيد ، يحمل المدفع في أرض الجزائر ، فبلادي ثورة بكر ، بقلبي ثورة قيم سياسيّة : وتجلّت في الدّعوة للعمل النّضالي وتمثّلت في قوله : أنا نبع تاريخ جديد ، بأرضي بسمائي بكياني تستبدّ ، أطفأ النيران ،

قيم انسانيّة : من خلال البحث عن السّلام والأنا ، أنا انسان كبير ، أنا انسان حياتي ، باركيها يا جموعي ...

الهوامش :

المصادر والمراجع:

- جلال الدين السيوطي. (2000). *الالتقان في علوم القرآن*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- عبد العزيز حمّودة. (بلا تاريخ). *الخروج من التّيه*.
- عبد الملك مرتاض. (2004). *ألف باء تحليل مركّب لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد ال خليفة*. الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية: الجزائر.
- عبد الملك مرتاض. (د.ت). *بنية الخطاب الشعري*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الشريف مريعي. (2015-2016). *اللغة العربية واداءها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي*. الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.

المداخلات:

- أمال أحباب. (المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصّوف ميله، 2023). *مداخلة غير منشورة بعنوان: التّأويل الأمتناهي من منظور التّأقّد الجزائري عبد الملك مرتاض، قراءة في مقارنته التّأويلية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد ال خليفة*.

مُجدّ سيف الاسلام بوقلالة. (2011). *نظرية النص الأدبي*. مجلة المستقبل.